

من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

التحليل البلاغي لآية السِّلَم: في سورة الأنفال «٦١»

«الصبر والشكر»

■ كلنا يعلم أن الحياة لا يصفو حالها، فالإنسان فيها يتقلب بين الترح والفرح، فالفرح لا بد من أن يراعي الإنسان فيه ما يجعله رافعا لدرجاته، على العكس مما يفهم البعض في أنه يجعل الفرح ميدانا للمجاهرة بالمعاصي، وبطيبة الحال ليس هذا هو الفهم الصحيح، بل لا بد لحياة الإنسان من أن تكون وفق منهج الله تبارك وتعالى في هذه الحياة. فالأمر في الفرح يكون أكثر رغبة من قبل الإنسان، بل قد يكون هناك نوع من التجهيز له.

ولكن أكثر ما يمكن أن يكون فيه الحرص على تمثل تعاليم هذا الدين الحنيف هو في حالة الحزن ووقوع المصيبة، فهذا قد يفلت من الإنسان من صمته وسكونه، ومن جلده وصبره والمعهود، وهنا الحذر الحذر من الوقوع في المحذور، فغني هذه المرحلة الحرجة يتميز المؤمن الحق بما يقضيه الله تعالى ويقدره عليه من أمور. فالؤمن الحق يعلم أن كل ما يصيبه من خير أو شر فهو من الله تبارك وتعالى وأن الله تعالى هو من قدر لنا كل ما يصيبنا، وفي هذا يقول الحبيب المصطفى - عليه السلام - " .. وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك .."

فعلى الإنسان أن يكون مستعدا للخير والشر، فإذا جاءه الخير شكر فكان خيرا له، وإذا جاءه الشر صبر فكان خيرا له، وهذا هو الذي قاله لنا نبينا محمد عليه السلام متعجبا: "عجبا لأمر المؤمن .."

فنحن نكبر الإنسان إذا أصابته مصيبة ورأيناه صابرا محتسبا لما قضى الله له من شأن فهذا أمر الله تعالى، وبطيبة الحال أمر الله مطاع، وهو الأمر النافذ الذي لا بد أن يسير وفق ما قدر الله تعالى، ولكن عندما يزرقه الله تعالى الصبر ومع الصبر يزرقه الشكر على ما أصابه، فهذه منزلة سبحانه موليها لمن يشاء، فترى من أصابته تلك المصيبة يحمد الله تعالى بعدما وفق ووفقا تاما بما قدر الله له، فالله تعالى في القرآن الكريم يخبرنا بقوله: "الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون". فغني هذه الآية السليوى وحسن العزاء، لمن أراد من الله تعالى حسن العزاء. ■

مصطفى بن ناصر الناصبي

السعادة في البساطة

■ يظن البعض أن السعادة تتحقق لهم إذا تحقق لهم الشيء الفلاني منسلا، غير أن كلام الخبراء والحكماء وواقع التجارب تؤكد غير ذلك.

السعادة رحلة من البساطة والرضا والتطلعات والحركة والسعي للانتصارات والتغلب على التحديات.

الأطفال الصغار يسعدون بأمر يراها (بعض الكبار تافهة، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للصغار أنفسهم، حيث إنها مهمة لهم بقدر ما توفد فيهم من السعادة والبهجة والفرح.

والكبار كما الصغار يمكن أن يجودوا بالسعادة في أشياء يعتبرها البعض هزيلة ولا قيمة فيها. قد يعيش أحد السعادة في بيت ريفي متواضع ولا يعيشها في قصر باهر يشرف على البحر، قد يشعر بالسعادة أحد في ركوب دراجة هوائية بسيطة ولا يشعر بها مع سيارة فارهة.

قد يجد السعادة أحد مع فنان شاي يحتمسه في مقهى ناتي قليل الزبائن ولا يجدها في أرقى مطاعم العاصمة. إن كل شيء يمنحك السعادة فهو كبير كفاية بالنسبة إليك وإن ظهر للبعض أنه شيء تافه، وإن اعتوك أنت كذلك أنك إنسان ساذج. اكسب السعادة لنفسك، ثم امتحنها للأخريين لتعود إليك مضاعفة. الإيمان بالله ومحبه والرضا عنه كلها أبواب إليه وإلى السعادة الأبدية، وعيش الأخرة هو العيش السعيد الذي لا نكد معه. ■

ودمت سعداء

علي بن جابر المسكري

alijabir-articles.blogspot.com

كان أمره مشكوكا فيه غير مطمأن إليه. وذلك كله مرهون كذلك بالمصالح وتحقيق المنافع، وحصول الاستقرار وهو مأخوذ في إطار: (ولا تهنوا و لا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين). وفي إطار: (فاقتلوا المشركين كافة) وفي دائرة: (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم). فإذا قاتلني العدو أو أعوان على قتلي قاتلته ولم أرتكن إلى خداعه و نفاقه في الميل إلى السلم، قال - تعالى -: (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله).

وجملة القول أن الإسلام بهذه الآية ومعطياتها وسياق ألفاظها التي سبقت على هذا النمط في الحرف والبنية والتركيب - يبرز مقاصده، ويكشف عن أهدافه من الحرب، فهي حرب إن قامت فإنما تقوم لإتسار الحق وإرساء دعائم الاستقرار ونشر العدل، أما إذا مال العدو إلى السلم وجنح إلى الصلح فقد وجب على المسلمين الميل إليه ومساعدته، وتأييده بمجرد ميله ورغبته، وقد وضع ذلك من استعمال أداة الشك (إن) ، وبنية الفعل (جنح)، واستعمال (السلم) بأحرفها الهادئة ولفظها الوديع، واستخدام جواب الشرط المقترن بالفاء التي تفيد السرعة ووجوب تحقق الجواب بمجرد تحقق الشرط، واستعمال الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي (جنحوا) وفعل الأمر:

(و توكل على الله) مع شبه الجملة (على الله) الذي يقوي اليقين ويطمئن الفؤاد ويريح النفس، أما جملة (إنه هو السميع العليم) فهي جملة مؤكدة ب(إن)، وتبين أن الله مطلع حسب، ورفيق قريب، يثبت الصادق، ويعاقب المخادع المتناقض، فلا يخشى أهل الإسلام بعد ذلك من أحد، ولا يتكاسلوا عن مد يد الصلح في حال مد العدو يده، وأسلم إلى السلام والهدوء فؤاداً، وصلّى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ■

جمال عبد العزيز أحمد

كلية دار العلوم جامعة القاهرة - مصر

إعداد : ناصر بن محمد الزبيدي

للغداء ، فأقبل على الرجل فقال له : يا هذا إن غداءنا قد حضر فانهض بنا إليه إن شئت ، فإنك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال * ومن الأمور التي تجعل الإنسان يصد، لواجه الشدائد والمحن ، هي قوة الإرادة ، وتكون قوتة الإرادة خلقا محمودا إذا كانت مقرونة بالعلم والعقل والحكمة في التصرف، وإلا كانت سلاحا خطيرا صارا *

فحين تكون الإرادة قوية ومقرونة بالعلم والعقل الدراك ، تكون تصرفاتها الشخصية والاجتماعية تصرفات حكيمة نافعة * وحين تكون الإرادة ضعيفة، أو غير مقرونة بالعلم والعقل الدراك، فإن تصرفاتها الشخصية والاجتماعية تكون في الغالب تصرفات غير حكيمة ، وغير نافعة *

إن الإرادة القوية التي لا تكون مقرونة بالعلم والعقل، تكون مصيبة على صاحبها، ومصيبة على كل من يرتبط به ، أو يخضع له طائعا أو مكراها، إن هذه الإرادة قد تدفع إلى الهلكة وأنواع المصائب ، وقد تحمل صاحبها ومن يرتبط به أو يخضع له من التكاليف والمشاق ما لا طاقة لهم به، وقد تدفع بهم إلى المازق الكبرى الجسدية والنفسية ، وترمي بهم في المخاطر * وإن من الناس من يتمتعون بإرادة قنوية جدا، إلا أنهم حمى ، لا يتحلون بعقل حصيف يعقلهم، أو حلم يضبط تصرفاتهم بضوابط الحلم والحكمة، وهؤلاء نكبة علة أنفسهم وعلى مجتمعهم، فإذا اتجه احدهم للضبط على نفسه، عن طريق العبادة مثلا ، أهلكتها وأشقاها في غير ما شرع الله لعباده، زاعما أن ما يفعله ويشقى به هو من فضائل السلوك التي تقربه إلى الله تعالى، مع أن الله غني عن تعذيبه نفسه وجسده، وقد أمر الله في شريعته بالسير ولم يأمر بالعسر * وإذا قاد احدهم مجموعة من الناس، وانقادوا له أهلكتهم ، مشقة وأعانتا ، لأنه بقوة إرادته يحزم عليهم ، ويعطيهم مثلا عمليا يقهر النفس والتغلب عليها ، لكنه بجعله وحماقته ونقص عقله يوردهم موارد التهلكة ، وضعبف الإرادة في مثل هذه الحالة عوقل شرأ وأخف ضرأ *

قال الله تبارك وتعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) سورة الإسرا ١٨/ ١٩ ■

وللحديث بقية إن شاء الله

إبراهيم السيد العربي

وهناك ظاهرة أخرى يجب التنبيه عليها ألا وهي (الدين) وهو هم بالليل ومذلة بالنهار والعاقل هو من يحاول بقدر المستطاع ألا يستدين من الناس إلا بقدر الحاجة، ويوجد النية للسداد عند القدرة على ذلك ولقد استعاد الرسول صلى الله عليه وسلم (من غلبة الدين وقهر الرجال).

وروى عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه قال، كان رسول السداد عند القدرة على ذلك ولقد استعاد الرسول صلى الله عليه وسلم (من غلبة الدين وقهر الرجال).

وروى عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه قال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى له بجنائز لم يسأل عن شيء من عمل الرجل ويسأل عن دينه، فإن قيل عليه دين امتنع عن الصلاة عليه، وإن قيل : ليس عليه دين صلى عليه.

وأوتي بجنائز فلما قام ليكبر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل على صاحبك من دين؟ فقالوا: ديناران يا رسول الله فعدل النبي صلى الله عليه وسلم عنه، وقال صلوا على صاحبكم، فقال الإمام علي كرم الله وجهه هما علي يا رسول الله وهو بريء منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه، ثم قال لعلي رضي الله عنه



ولم يقل: "له"، لأن "السلم" كلمة تُذكر وتؤنث، وذلك أمر جائز، ويجوز أن يكون التأنيث للغة أي فاجنح إلى هذه الخصلة أو الصفة، ومن التأنيث قول الشاعر:

وأقنيت للحرب آلاتها وأعدت للسلم أوزارها

وقول الأخر:

السلم تأخذ منها ما رصيت به والحرب يكفيك من أفعالها جِرْع وتأتي الواو العاطفة (و توكل على الله) لتبين أن ذلك كله مرهون بالتوكل مربوط باليقين، حتى يعي المعاهد أنه إذا قام بالخداع أو المداراة أو النفاق - فإن له ناصرنا وهو - سبحانه - كافينا: لأننا توكلنا عليه، وهو القادر القدير المقدر الذي أمرنا بالميل تجاه السلم إن شعرنا بأن مُعاهدتنا قد مال إليه و جنح ناحيته، ولو

وإشاعة الهدوء، والاستقرار وحروف الكلمة تشي بذلك، فالسين حرف همس واللام تخرج من جوانب الفم، والميم شفووية، فكل أحرف الكلمة لا تسمع لها صوتا، و كأن السلم هو إخماد أصوات المدافع وإسكات ضربات الصواريخ ومدمة القنابل، فالأحرف فيها لون من الإعجاز حيث إنها ترسم واقعا هادئا وكونا مستقرا غير هائج ولا مضطرب، يحوطه الأمان ويشمله الهدوء والسكينة، فأحرف السلم سواء بكسر السين أو بفتحها تسهم في رسم جوالمجتمع الهانئ، وتكشف عن استقرار هادئ، ولون من الحياة وديع وبيدع، وهو صورة ثالثة من صور رغبة الإسلام في إشاعة السلام والوثام، وانتشار الاستقرار والعملار.

* فكونه يأتي بضمير المؤنث (فاجنح لها)

الشرط، نقول: إن زرتني أكرمك، وإن اعتذرت قبلت عذرك، فالجواب مرهون بشرطه، وتأتي الغاء لتبيين الرغبة في تحقيق الشرط. صحيح أنها الغاء الواقعة في جواب الشرط ، لكنها تسمى فاء الجزاء، كأنها تجزي من حقق السبب، وأتى بالشرط، فجنح المسلم إلى السلم والصلح يتأتى مباشرة فور جنح المعاهد إليه، ولا يجب أن نترتب، أو نتهدأ إذا ما رأينا منه ميلا وجنوحا ورغبة في السلم، ففوق الغاء التي للجزاء قد دلت على السرعة والتحقق، وهو صورة أخرى من صور ميل الإسلام إلى الصلح والسلام ونبد العنف والدما.

* و السلم (يفتح السين و كسرهما) هو: السلام والصلح والتسليم والاستسلام، و حصول الوثام

«مواقف من أخلاق الإسلام»

كيف كنت تمسحه؟ * فقلت : كنت أخذ طولهُ على انعراجِه ، وأخذ عرضه ثم أضربه في مقله، قال الشيخ : إن شكل (قاتل قفا) يكون رأسه مددانا، وفي تحديده تقويس قلت : فأخذ الوسط ، وأضربه بالعمود ، قال: إن يئنني عليك العمود ، فأسكتني فقلت : أنا لست كاتب خراج قال : فإذا : ماذا؟ *

قلت أنا كاتب قاض: قال : لا تبال ، أفرأيت لو أن رجلا توفي ، وخلف امرأتين حاملتين ، إحداهما حرة والأخرى سريه ، وولدت السرية غلاما وولدت الحرة جارية ، فعمدت الحرة إلى ولد السرية فأخذته ، وتركت بدله الجارية ، فاختصمتا في ذلك الحرة تحكك بينهما؟ *

قلت : لا أدري قال : فلست كاتب قاض ، قلت : أنا كاتب جيش قال : لا بأس عليك أرايت لو أن رجلين جاءا إليك لتحكك بينهما ، وكل واحد منهما اسمه واسم أبيه كاسم الآخر، إلا أن أحدهما كان مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق الشفة السفلى كيف كنت تحكك بينهما؟ *

قلت : أقول فلان الأعمى ، وفلان الأعمى، قال : إن رزقهما مختلفان، وكل واحد منهما يجيء في دعوة الآخر، قلت : لا أدري؟ قال الشيخ : فلست بكاتب جيش قلت : أنا كاتب معونة *

فقال الشيخ : لو أن رجلين رفاعا إليك شج أحدهما شجة موضحة : (الشجة الموضحة أو الواضحة التي تكشف العظم) ، وشج الآخر صاحبته مأمومة (الشجة المأمومة أو الشجة الأمة التي تصل إلى أم الرأس أو إلى أم الدماغ وتسمى الجائفة) ، والشجة تشق في الجلد ، وهي في الرأس أو الجبين خاصة ، وقد تعمم والجمع شجاج وشجات ، والشجة على مراتب عشر، وهي الحارصة، والباضعة والدائمة، والمتلاحمة والسحقاق، والموضحة، والهاشمة، والمنقلة، والأمة، والدائمة) *

قال الشيخ لعمر بن مسعدة الصولي ، وزير المأمون ، فيما أنك قلت بأنك كاتب معونة لو أن رجلين رفاعا إليك ، شج أحدهما شجة موضحة، وشج الآخر صاحبه شجة مأمومة كيف تفصل بينهما؟ قال عمرو قلت : لا أدري؟ *

يحكى أن رجلا وقف على الأحنف بن قيس التيمي وعليه مقطعات يسب الأحنف ، وكان عمرو بن الأهم جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف ، فجعل الأحنف لا يلتفت إليه ، والرجل يسبه سباً يغيظ الأحنف ، والأحنف مطرق صامت *

فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعض أبهامه ، ويقول : يا سواته ، والله ما كفعا، كذلك الدال على الشرف كفاعله.

يقول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه (من شفع شفاعة ليرد بها حقاً أو يدفع بها ظلماً فأنه يرد إليه فقبل، فذلك السحت (يعني الحرام) فهذه دعوة لكل مسلم أن يبتعد عن كل ما يغضب الله تعالى، ويتحرى الحلال في مأكله وفي مشربه وفي كل أمور حياته .

■ نواصل الحديث: مواقف من أخلاق الإسلام، قال عمرو بن مسعدة فأردت أن أختبر الشيخ وأتبين حاله بالحديث إليه، فقلت يا شيخ ما صناعتك؟ فقال: أنا حائك أسطك الله . فقلت في نفسي: هذه الحياكة علمته سوء الأدب، فتناومت عنه ومددت رجلي، فقال الشيخ : لقد سألتني عن صناعتي فأجبته، فأنت أعرك الله ما صناعتك؟ *

فأكبرت بادره ذلك منه، وقلت: أنا جنيت على نفسي هذه الجنابة، ولا بد من احتماله ، أتراه . الأحمق . لا يرى ما أنا فيه من الغلمان والنعمة، وأن مظلي لا يسأل عن مثل هذا.

ثم قلت له : أنا كاتب ، فقال الشيخ: أنت كاتب كامل، أم كاتب ناقص؟ فإن الكتاب خمس، فممن أيهم أنت؟ *

فورد علي من قول الحائك، مورد عظيم ، وسمعت كلاماً أكبرته وكنت متكناً فجلست ، ثم قلت له: فصل الخمسة، قال: نعم.

١ - كاتب خراج : يقضي أن يكون عالماً بالشروط ، والأجور والحساب والمساحة والبثوق، والفتوق والرقوق *

٢ - وكاتب أحكام : يحتاج أن يكون عالماً بالحلال والحرام ، والاختلاف والاحتجاج ، والإجماع ، والأصول والفروع *

٣ - وكاتب معونة : يحتاج أن يكون عالماً بالقصاص، والحدود والجراحات ، والمرا تبات والسياسات *

٤ - وكاتب جيش: يحتاج أن يكون عالماً بحلى الرجال ، وشيات الدواب ، ومدارة الأولياء، وشيء من العلم بالنسب والحساب *

٥ - كاتب رسائل : يحتاج أن يكون عالماً بالصدور ، والفصول والإطالة والإيجاز، وحسن البلاغة وجودة الخط *

فقلت له : أنا كاتب رسائل، قال: فأسألك عن بعضها؟ قلت : سل: قال : أصلحك الله ، لو أن رجلاً من إخوانك تزوجت أمه ، فأردت أن تكتابه مهنتا، فماذا كنت تكتب إليه؟ *

ففكرت في الحال ، فلم يخطر ببالي شيء ، فقلت : اعفني، قال قد فعلت ، ولكنت لست كاتب رسائل ، فقلت أنا كاتب خراج *

فقال : لا بأس عليك ، لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية ، وأمرك فيها بالعدل والإنصاف ، وتقضي حق السلطان ، فتظلم إليك بعضهم من مساحك ، وأحضرتهم للظنر بينهم وبين رعيتك ، فحلف المساح بالله العظيم ، لقد أنصفوا وما ظلموا، وحلف الرعية بالله العظيم أنهم قد ظلموا وجاروا عليهم ، وقالوا لك : قف معنا على ما مسحوه وأنظر من الصادق ، ومن الكاذب فخرجت مع القوم لتقف عليه، فوقفوا على قراح شكله (قاتل قفا)

■ في عصرنا هذا ابتليتنا بعدة أمور في الأساس نهى عنها ديننا الحنيف، لكنها من كثرتها ووقوع الكثير من المسلمين فيها كأنهم ألغوها وأصبح الكثير يعتقد في حلها، ويدخلها تحت سميات عصرية هي في الأساس الإسلام بريء منها.

ومن هذه الظواهر: ظاهرة الرشوة . وحكم الإسلام فيها معروف ألا وهو أنها حرام ومن يرتكبها فهو ملعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونص الحديث النبوي الشريف واضح (لعن الله الراشي والمرتشى) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا تتوالوا اليهود ولا النصارى فإنهم يلقون الرشا، ولا يحل في دين الله الرشا) يعني بذلك الرشوة نعوذ بالله تعالى منها.

من هو الراشي؟ والجواب: هو الذي يقدم الرشوة، والمرتشى هو الذي يقبلها ومن هنا نقول في عتاب لكل من تسول له نفسه تحت سميات عصرية هي في الأساس الإسلام نقول له: هب أن شخصاً يعمل في مكان معين، وعلى أجر محدد اتفق عليه مع صاحب العمل، فلا يجوز لهذا الشخص أن يُعطى مصلحة